

الدعوة للطاعة

سيسعى الكثيرون إلى الدخول ولن يتمكنوا من ذلك

"اجتهدوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَبْتَطُلُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلَا يَقْدِرُونَ" (لوقا ١٣: ٢٤). هذه بعض أكثر الكلمات المذهلة التي قالها الرب يسوع على الإطلاق، خاصة أنه قال هذه الكلمات لأناس أكلوا وشربوا في حضوره والذين علمهم في شوارعهم. كانوا قوماً ادعوا أنهم عرفوا الرب يسوع، لكنه يرفضهم (لوقا ١٣: ٢٦، ٢٧). برغم كل عبادتهم لم يقدرُوا أَنْ يَدْخُلُوا.

منذ ذلك الحين، جاء الملايين إلى المذبح، معترفين بخطاياهم، طالبين من الرب يسوع أن يكون مخلصهم. لكنهم لم ينجحوا في الحصول على تأكيد لخلاصهم من خلال العبارة التي تقول: "الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لَأَرْوَاجِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ" (رومية ٨: ١٦). للأسف، سيتسلك الكثيرون كما لو أنهم قد خلصوا من خلال تبني جوانب معينة من الحياة المسيحية، والانضمام إلى الكثيرين من المؤمنين الآخرين الذين "لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى، وَلَكِنَّهُمْ مُنْكَرُونَ قُوَّتَهَا" (تيموثاوس الثانية ٣: ٥)، والذين يقول عنهم يهوذا إنهم "عُيُومٌ بِلَا مَاءٍ" (يهوذا ١٢).

للأسف، يشكل مثل هؤلاء الناس غالبية أعضاء الكنيسة في العالم، فهم يعترفون بالمسيحية، لكنهم فارغون من الروح القدس. واليوم، أعتزم دعوتكم للبحث معي عن سبب فشل الكثيرين ممن يسعون إلى الخلاص في تحقيقه. مع الوضع في الاعتبار، أن نلاحظ أنه لا يوجد سوى ثلاثة أطراف مشتركة في خلاص الروح هم الله وإبليس والإنسان. فلنكتشف أي طرف من الأطراف الثلاثة هو المخطئ عندما يطلب الإنسان الخلاص ولكن لا يناله.

١- **الله** لاحظ أولاً وقبل كل شيء أنه لا يوجد على الإطلاق أي غياب للنوايا الحسنة من جانب الله أن يخلصنا كما تقول الأسفار المقدسة: "التَّفَقُّوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقْصَى الْأَرْضِ، لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ" (إشعياء ٤٥: ٢٢)؛ "الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَدَّلَهُ لِأَجْلِنا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهْبِئُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلِّ شَيْءٍ؟" (رومية ٨: ٣٢)؛ "لَا يَتَّبِطُّ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ ... وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَا، بَلْ أَنْ يَقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (بطرس الثانية ٣٩: ٩)؛ "الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ" (تيموثاوس الأولى ٢: ٤). في كل آية من هذه الآيات نجد كلمة "كل". الكل يعني كل شيء. هذا يشملني أنا وأنت! في هذه الآيات نجد أن الله يحبنا، وأنه قدم ابنه الوحيد ذبيحة ليخلصنا، ثم يريد منا الذين لم يخلصوا لكي يخلصوا. إن فشل أي إنسان في أن ينال الخلاص ليس من الله. لا بد أنه في مكان آخر. هل هو مع إبليس؟

٢- **إبليس** بقدر ما أن الله معنا لكي نخلص، فإن إبليس ضدنا لكي لا نخلص. إنه يعمل ليلاً ونهاراً ليمنع الناس من أن ينالوا الخلاص. بمجرد أن نخطو الخطوة الأولى نحو باب الخلاص، يحشد قواته ليمنعنا من اتخاذ الخطوة الثانية، فيخبرنا بالأكاذيب ويلوي حقائق الكتاب المقدس ويضع الشكوك والمخاوف في أذهاننا، إلى آخر ذلك. يلخص بطرس كل هذا فيقول: "أَصْحُوا وَاسْهَرُوا. لِأَنَّ إبْلَيْسَ خَصَمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (بطرس الأولى ٥: ٨). هذه حرب! سواء أعجبك ذلك أم لا، في اللحظة التي يتجه فيها عقلك إلى اتباع الرب يسوع، تجد نفسك في حالة حرب، أشرس حرب تخوضها على الإطلاق، الحرب الوحيدة التي يهزمك بالحقيقة أن تفوز فيها. إذا كسبت هذه الحرب، فستحتفل إلى الأبد. أخسر هذه الحرب وستكون خاسراً إلى الأبد. لذلك، لا تبدأ الحرب الروحية عند بوابة حظيرة الغنم، بل بمجرد أن تضع عينيك على هذه البوابة. من تلك اللحظة فصاعداً، ينبغي أن تدخل هذه المعركة من أجل روحك بكل قلبك، وتلتزم بها إلى أن ترى وجه مخلصك. وأنت لا تخوض هذه المعركة من أجل روحك بفنجان قهوة في يد ومسدس لعبة في اليد الأخرى. إنك تحاربها بكل الأسلحة الموجودة تحت تصرفك. أي أنك ينبغي أن تسلم ذات للعنف الروحي لتشارك عدو روحك وتصل إلى الباب الضيق. قال الرب يسوع: "... مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَحْتَفِلُونَ" (متى ١١: ١٢).

نعم، يدعوك الرب يسوع إلى العنف! تأخذ الملكوت بالقوة وتحافظ عليه بالقوة. فهل من المستغرب إذاً، أن يستخدم بولس التشبيهات العسكرية كثيراً في وصف الحياة المسيحية؟ وبالمثل، فإن روح العنف التي أظهرها الرب يسوع تجاه الصيارفة عندما طردهم من الهيكل هي نفس الروح التي تحتاجها لتنتصر على إبليس والجسد والعالم لتصل إلى العرش.

الخلاصة هي أنك لا يمكنك أن تلوم إبليس على أنك لم تحصل على الخلاص. لأن كلمة الله تقول: ".... قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبُ مِنْكُمْ" (يعقوب ٤: ٧). "إِذْ أَسْلَحُهُ مُحَارَبَتَنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ" (كورنثوس الثانية ١٠: ٤). عندما يكون الرب يسوع في صفك، فإن أصبحت عنيفاً مع إبليس، فستكون لك اليد العليا عليه في كل مرة.

٣- الإنسان لذلك، بما أننا لا يمكن أن نلوم الله ولا الشيطان على أننا لم نخلص، أعتقد أننا وجدنا الطرف الذي ينبغي أن نلومه على فشلنا في أن ننال الخلاص. إنه الإنسان، لأن الله يقول: "وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ" (إرميا ٢٩: ١٣). في هذه الكلمات، نجد الضمان الصريح لنا لأن نقبل الخلاص ونحافظ عليه. علينا أن نسلم أنفسنا لهذه المعركة على أرواحنا من كل قلوبنا. هذا يعني أننا لن نقبل الهزيمة، مثلما أن شخصيات الكتاب المقدس هذه لم تقبل الهزيمة: يعقوب في فنييل (تكوين ٣٢: ٢٤-٢٦)، بارتيمائوس الأعمى (مرقس ١٠: ٤٧-٥٢)، المرأة الفينيقية السورية (مرقس ٧: ٢٧-٢٩)، والمرأة مع قاضي الظلم (لوقا ١٨: ٦، ٧). إن ضغطنا كل حاجز، سنشرب من كأس خلاصه، إنه أمر مضمون.

وهذا يتطلب الموت مما يجعل ديتريش بونهوفر يقول: "عندما يدعو المسيح إنساناً، فإنه يأمره أن يأتي ويموت". نعم، لا بد أن يموت الإنسان العتيق فينا، لكي يفسح المجال للإنسان الجديد في المسيح يسوع، ولا بد أن يستمر هذا الموت. هذا هو السبب في أن الرسالة الموجهة إلى كل كنيسة من الكنائس السبع في سفر الرؤيا متكررة: تغلب! لذلك، لأن الموت يأتي قبل الحياة، فإن أول شيء يفعله الرب يسوع عندما يتقابل معنا هو أنه يسلمنا نصيبنا الشخصي من الإعدام.

لكن إن كان قرارنا بالحصول على الخلاص ناتجاً عن عقلية منفصلة غير مبالية فلن نختبر أبداً شهادة الروح أن اسمنا مكتوب على يده. بعبارة أخرى، إن كنا "على استعداد لمنحه فرصة"، لكننا قررنا مسبقاً أنه إن لم تتجح، فسنختل عن متابعتها، لننضم إلى عدد كبير من الذين لن يستحقوا السير مع الرب يسوع في ثياب بيض (رؤيا ٣: ٤). أعتقد أننا الآن على الطريق الصحيح للإجابة عن سبب عدم تمكن الكثير ممن يسعون للدخول لن يقدرُوا على ذلك. إن الأشخاص الذين لا يبحثون عن الله بكل قلوبهم هو دليل على أنهم ليسوا مستعدين للتخلي عن كل شيء، وبالتالي يفقدون القدرة على محبته من كل قلوبهم ونفسهم وعقلهم وقوتهم، التي هي في صميم المسيحية. وبدون ذلك، لا يمكن أن يكونوا مسيحيين حقاً.

انظر الآن إلى الجزء الأول من النص عن قرب. "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق... (لوقا ١٣: ٢٤) لاحظ كلمة "اجتهد" تأتي من الكلمة اليونانية agonizomai ، والتي تعني يتألم. وهي مأخوذة من الألعاب الأولمبية. يتألم الرياضيون للحصول على ميدالية ذهبية. لا يمكن الحصول عليها بدون معاناة. هل يمكننا أن نتصور أن هذا هو ما يلزم عمله لنحصل على ميداليتنا الذهبية؟ إنها اللؤلؤة كثيرة الثمن. إنها الكنز المخفي في الحقل. هي أن نصير مسكناً لله. هذا أمر لا يصدق.

هذا المفهوم نفسه يعبر عنه الرب يسوع أيضاً في مكان آخر بكلمات أخرى مثل: "مَا أَضْيَقَ الْبَابِ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ" (متى ٧: ١٤). ومع ذلك، هناك مكافآت كبيرة لأولئك الذين يجتازون من خلال صعوبات معرفة إلههم مثلما قال الرب يسوع: "فَقَالَ لَهُمْ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللَّهِ، إِلاَّ وَيَأْخُذْ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (لوقا ١٨: ٢٥-٣٠). هل يمكننا أن نفهم هذا: سيسعى الكثيرون للدخول، ولن يتمكنوا من ذلك؟ الكثيرون مستعدون لأن يخسروا بعض الخسارة، لكن القليلين مستعدون لأن يخسروا كل الخسارة. هذا لا يجدي. لا يبحث الرب يسوع عن أشخاص غير متفرغين أو عن معجبين، إنه يبحث عن أتباع.

لتوضيح ذلك، نتأمل في رجلين كانا يسعيان إلى الخلاص، هما الشاب الغني وزكا العشار. كان الشاب الغني (لوقا ١٨: ١٨-٢٥) سجيناً لأخطبوط ممتلكاته وارتباطاته الدنيوية وأسلوب حياته. كان يسعى للدخول لكنه لم يقدر. لم يستطع إحضار قلبه. إنه يمثل عددًا كبيراً من أولئك الذين يريدون ذلك، لكنهم لا يريدون ذلك بشكل كافٍ، ولذلك لا يقدر أن يدخلوا.

لكن كان هناك زكا (لوقا ١٩: ١-٩). أراد زكا لقاء يسوع بأي ثمن. كان متعلقاً بذلك بكل قلبه. وكان مستعداً لأن يجتاز كل عقبة وسخر من نفسه وعمل تسوية وتعويضات مع الجميع. كان مستعداً لأن يبعث كل ما لديه ليأخذ كل ما لدى الله. فلا عجب أن عرف الرب يسوع اسمه بالفعل عندما رآه لأول مرة فوق الشجرة. ولا عجب أن دعا الرب يسوع نفسه إلى بيته. ضع كيانك كله على مذبح الذبيحة وسيدعو الرب يسوع نفسه أيضاً إلى قلبك. ومثلما فعل مع زكا، سيدعوك ابناً حقيقياً لإبراهيم. في الواقع ملكوت الله هو مثل ذلك.

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزيارته لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA